[١٠]

أصوات العقلاء والحكماء

وإذا كانت هذه إشارات -مجرد إشارات- لمعالم هذا الانقلاب الطائفى العنصرى الانعزالى، الذى تبلور تياره فى أوساط النخبة الأرثوذكسية عقب الحرب العالمية الثانية.. فى ظلال -وبالموازاة مع - نزعات الطائفية والعنصرية التى انتعشت بعد النجاح فى إقامة الكيان الصهيونى على أرض فلسطين.. فإننا لا نبالغ إذا قلنا: **إننا بإزاء انقلاب طائفى.. تقوده الكنيسة الأرثوذكسية على مقومات الهوية الوطنية والقومية والحضارية لمصر.. وعلى تاريخها.. ورسالتها التى حملتها وتحملها إلى العالمين.. وأمام «حلم مجنون» بإعادة عقارب الساعة إلى ما قبل أربعة عشر قرنًا.. وذلك طمعًا فى تكرار ما حدث على أرض فلسطين بأرض الكنانة!..**

إننا أمام أقلية دينية، لا تتجاوز نسبتها ٨,٥٪ من السكان.. يقودها تيار طائفى عنصرى انعزالى يسعى إلى إدارة عقارب التاريخ والجغرافيا والهوية إلى الوراء، فى انسجام تام مع مخطط التفتيت والفوضى الخلاقة الذى ترعاه الإمبريالية الأمريكية والعنصرية الصهيونية والصليبية العالمية.. غير عابئ بالأغلبية المسلمة.. بل ولا حتى بقطاعات من عقلاء المسيحيين المصريين الذين يرفضون الانخراط فى هذا الاتجاه.

●●●

وكـما سلطـنا الأضواء على المخطـط «الإمبـريالى.. الصليـبى.. الصهيونى» لإعادة تفتيت وشرذمة العالم الإسلامى -بما فيه مصر.. بل وخاصة مصـر- بواسطة الأقليات الدينية والقوميـة والمذهبية.. وسلطنا الضوء -كـذلك- على الشرائح التى سقـطت فى مستنقع الخـيانة الذى رسمه هذا المخطط.. فإننا -إعـمالاً للمنهج القرآنى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ [آل عمـران: ١١٣]- قد سـلطنا الضوء على مـواقف العقل والحكـمة والوطنيـة التى عـبـرت عنهـا أصوات رمـوز دينيـة ومـدنيـة بين هذه الأقليات.. أولئـك الذين أعلنوا أن هذه الأقليات هى جـزء أصيل من النسيج الـوطنى والقومى والحضـارى للأمة العـربية الإسلامـية.. وأن مشكلاتهم هى مشكلات الأمة.. وطمـوحاتهم هى طموحات الأمة.. ومصيـرهم لا ينفصل عن مصـير الأمة.. وأمنهم وأمانهم فـى مشروع الأمة الحضارى والنهضوى..

نعم.. لقد سلطنا الأضـواء على مواقف هؤلاء العقـلاء الحكماء.. الذين قـالوا -بلسـان الأنـبا مـوسـى- أسـقف الشـبـاب بالكنيـسـة الأرثوذكسية-:

«نحن، كأقبـاط، لا نشعر أننا أقلية، لأنه ليس بيننا وبين إخـواننا المسلمين فرق عـرقى «إثنى»، لأننا مصـريون، وأتجاسـر وأقول: كلنا أقبـاط، بمعنى أنه يجرى فينا دم واحد من أيام الفـراعنة، ووحدة المسألة العرقية تجـعلنا متحدين مهما اختلفنا.

هناك -طبعًا- التمايز الدينى، لكن يظل الأقوى والأوضح الوحدة العرقية[1]. ولا نشعر، نحن الأقباط، بشعور الأقلية البغيض الذى يعانى منه غيرنا.. نحن أقلية عددية فقط، ولكن هذا لا يجعلنا نشعر أن هناك شرخًا بيننا وبين إخواننا المسلمين.

من جهة الهوية العربية، نحن مصريون، عرقًا، لكن الثقافة الإسلامية هى السائدة الآن، كانت الثقافة القبطية هى السائدة قبل دخول الإسلام، وأى قبطى يحمل فى الكثير من حديثه تعبيرات إسلامية، يتحدث بها ببساطة ودون شعور بأنها دخيلة، بل هى جزء من مكوناته.

نحن نحيا العربية لأنها هويتنا الثقافية، ومقتنعون بالطبع بأن فكرة العروبة فكرة سياسية واقتصادية وثقافية، بالإضافة لوحدة المصير المشترك.. والعلاقة بين الجذور والعروبة علاقة تناصرية.. هذه دوائر متداخلة..

ومصر دائمًا دولة مسلمة ومتدينة، ولكن بدون تطرف، ولو عشنا، كمسلمين وأقباط، وفى إطار الصحوة الدينية المصحوبة بصحوة وطنية فسيكون المستقبل أكثر من مشرق.

نحن، فى مصر، نسيج واحد، وسعداء بذلك، وهذه حماية استراتيجية لنا كأقباط.

---

(١) لكن الكارثة تتجلى عندما نقارن هذا الكلام بما قاله الأنبا بيشوى عن «أن الأقباط هم أصل البلد.. والمسلمون المصريون هم ضيوف حلوا علينا ونزلوا فى بلدنا»!! - صحيفة «المصرى اليوم» فى ١٥ - ٩ - ٢٠١٠م

ونحن نرفض المسيحية السياسية، لأن المسيح قال: «مملكتى ليست بالعالم».. ولو حدثت المسيحية السياسية تصبح انتكاسة على المسيحية.

وتقسيم مصر فكرة مستحيلة، وغير مسيحية، ولو فكرنا فى ذلك معناه أننا نجهز أنفسنا للإبادة.. إنها فكرة غبية.. فكرة صهيونية من أجل تفتيت مصر..»[1].

هكذا تحدث صوت العقل والحكمة، على لسان الأنبا موسى، من داخل الكنيسة الأرثوذكسية.

● ومن داخل الكنيسة الكاثوليكية.. تحدث صوت العقل والحكمة، على لسان الأنبا يوحنا قلته، نائب البطرك الكاثوليكى فى مصر.. فقال:

«أوافق تمامًا على أن أكون مصرياً.. مسيحياً، تحت حضارة إسلامية.

أنا مسلم ثقافة مائة فى المائة..

أنا عضو فى الحضارة الإسلامية كما تعلمتها فى الجامعة المصرية.. تعلمت أن النبى ﷺ سمح لمسيحى اليمن أن يصلوا صلاة الفصح فى مسجد المدينة.. فإذا كانت الحضارة الإسلامية بهذه الصورة.. التى تجعل الدولة الإسلامية تحارب لتحرير الأسير المسيحى.. والتى تعلى من قيمة الإنسان كخليفة عن الله فى الأرض.. فكلنا مسلمون حضارة وثقافة..

---

(١) دكتور سعد الدين إبراهيم [الملل والنحل والأعراق] ص٥٢٩- ٥٣٤.

وإنه ليشرفنى، وأفخر أننى مسيحى عربى، أعيش فى حضارة إسلامية.. وفى بلد إسلامى وأساهم وأبنى، مع جميع المواطنين، هذه الحضارة الرائعة..»[1].

● وغير أصوات العقل والحكمة عند بعض رجال الكهنوت.. وجدنا هذه المواقف العاقلة والحكيمة بين عقلاء المسيحيين العلمانيين - أى غير الأكليروس.

فالدكتور غالى شكرى [١٩٣٥- ١٩٩٨م] يكتب فيقول:

«إن الحضارة الإسلامية هى الانتماء الأساسى لأقباط مصر.. وعلى الشباب القبطى أن يدرك جيداً أن هذه الحضارة العربية الإسلامية هى حضارته الأساسية.. إنها الانتماء الأساسى لكافة المواطنين.

صحيح أن لدينا حضارات عديدة من الفرعونية إلى اليوم، ولكن الحضارة العربية الإسلامية قد ورثت كل ما سبقها من حضارات، وأصبحت هى الانتماء الأساسى، والذى بدونه يصبح المواطن فى ضياع..

إننا ننتمى -كعرب من مصر- إلى الإسلام الحضارى والثقافى، وبدون هذا الانتماء نصبح فى ضياع مطلق.. وهذا الانتماء لا يتعارض مطلقًا مع

---

(١) الأنبا يوحنا قلته: من حوار دار عقب محاضرة لى -فى جمهور من النخبة المسيحية، الممثلة لمختلف الطوائف- دعيت إليها «اللجنة المصرية للعدالة والسلام» -عنوانها: «أثر البعد الدينى فى الاشتراك فى العمل العام»، بفندق الحرية -بمصر الجديدة -بتاريخ ٩ نوفمبر سنة ١٩٩١م -انظر كتابنا [الإسلام والسياسة- الرد على شبهات العلمانيين] ص ١٨٥، ١٨٦ طبعة دار السلام - القاهرة سنة ٢٠١١م.

العقيدة الدينية.. بالعكس.. لماذا؟ لأن الإسلام وحد العرب، وكان عاملاً توحيدياً للشعوب والقبائل والمذاهب والعقائد..»[1].

● ونفس الموقف العاقل والحكيم -والعميق- نجده عند المفكر الحضارى الدكتور أنور عبد الملك.. الذى كتب يقول:

«إن أى إنسان عاقل يدرك أن مصر هى أقدم أمة وحضارة فى التاريخ قاطبة.

ومنذ الفتح العربى الإسلامى دخلنا بالتدريج فى إطار دائرة أسميناها -منذ خمسين عامًا- الدائرة العربية، ولكنها فى الواقع هى دائرة الحضارة الإسلامية، التى تتمركز حول مبدأ واحد هو «التوحيد»، الذى يتفق بشكل مطلق مع خصوصية مصر. فالحياة العامة فى مصر بها قبول بالسليقة للتوحيد، ناتج من وحدة الأمة المصرية منذ ما يزيد على ثلاثة آلاف سنة، وبالتالى فالإطار الحضارى للإسلام يشمل المرحلة القبطية «أى المسيحية المصرية»، كما أن لغتنا هى العربية، لغة القرآن»[2].

● ونفس الموقف العاقل والحكيم -والعميق- نجده عند المفكر الحضارى والمناضل السياسى الدكتور رؤوف نظمى -[محجوب عمر]- الذى قال عن المرجعية الإسلامية الواحدة، والموحدة، لكل الأمة:

---

(١) صحيفة [الوفد] عدد ٢٨ رجب سنة ١٤١٣هـ ٢١ يناير سنة ١٩٩٣م.

(٢) صحيفة [أخبار الأدب] فى ٣٠- ٤-٢٠٠٠م.

«الأمة مرجعيتها واحدة، وهى الإسلام، بما له من تراث وعقائد وأصول..

والأساس هو أن يكون للأمة مرجعية واحدة، فإذ كانت الأمة إسلامية فمرجعيتها الإسلام، وإذا كانت كونفوشيوسية، فمرجعيتها الكونفوشيوسية.

إن أغلبية الأمة مسلمون، والمطلوب هو توجيه الجهود للعمل مع الأغلبية التى لا تزال على مرجعيتها التاريخية، على تراثها الحضارى، وعلى عقيدتها..

نحن لدينا دستور يقول: إن دين الدولة هو الإسلام، وكافة مواد القانون تكون فى حدود الشريعة، والمطلوب فقط ترويج هذا الفهم لإطلاق طاقات الإبداع فى المشروع الحضارى..

إذا كانت المرجعية الإسلامية هى مرجعية الجميع، تنتهى المشكلة. فالمطلوب أن يكون مشروعنا حضارياً، من حضارتنا، وحضارتنا إسلامية، فالمطلوب أن يكون الإسلام هو المرجعية العامة للجميع»[1].

* ونفس الموقف العاقل والحكيم نجده واضحًا وحاسمًا عند الكاتب صادق عزيز.. الذى قال:

«إن مصر دولة إسلامية منذ دخلها الإسلام، ويومها كان المسلمون هم الأقلية، وكان الأقباط هم الأغلبية، ومع ذلك كانت إسلامية. بل إن مصر فى تاريخها لم تكن دولة «قبطية» حتى من قبل الإسلام، فهى تقع دائمًا تحت الحكم الرومانى أو البيزنطى أو المقدونى، أما الحكم القبطى فلم نسمع عنه

(١) مجلة [منبر الحوار] عدد خريف سنة ١٩٨٩م - ص ٤١، ٤٢ - بيروت.

أبدًا.. وفيما عدا الأحوال الشخصية فإن أحكام الشريعة الإسلامية لا تتعارض إطلاقًا مع المسيحية، وذلك لعدة أسباب أهمها:

١- أنه إذا كانت الدولة إسلامية، فالقوانين الوضعية يجب أن تكون إسلامية، وعلينا قبول ذلك، بل والترحيب به، عملاً بقول المسيح: «أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله».

٢- أن أحكام الشريعة الإسلامية تنطبق فى كثير جداً من الأحوال مع شريعة العهد القديم، وهى ما جاء المسيح لا لينقضها.. بل ليكملها.

٣- أن المسيحية لم تأت بأحكام وقوانين وضعية، عملاً بقولة -[المسيح]-: «مملكتى ليست فى هذا العالم»، ومن ثَمَّ ترك للحكام أو لقيصر وضع الأحكام الأرضية، وأمرنا بأن نعطى ما للحكام للحكام..»[1].

فمصر دولة إسلامية.. مرجعيتها الإسلام، منذ دخلها الإسلام قبل أربعة عشر قرنًا.. ولم تكن دولة قبطية حتى قبل دخول الإسلام إليها، لأن المسيحية ليست دولة، ومملكة المسيح ليست فى هذا العالم.. والعروبة هى الهوية الثقافية والقومية لمصر.

وليس فى مصر مشكلة «عرقية - إثنية»، لأن شعبها نسيج عرقى ووطنى واحد: مصريون أسلموا -هم الأغلبية الساحقة- ومصريون

(١) جمال بدوى [الفتنة الطائفية: جذورها وأسبابها. دراسة تاريخية ورؤية تحليلية] ص ١٣٧ - ١٤١ - طبعة القاهرة سنة ١٩٩٢م.

ظلوا مسيحيين- وهم الأقلية فى الدين فقط.. أى فى الاعتقاد، أما فى منظومة القيم والأخلاق والثقافة فالجميع مسلمون حضارياً.

والمسيحية.. السياسية تعنى «تجهيز المسيحيين للإبادة»!.

أما الحبر العظيم الأب متى المسكين [١٩١٩ - ٢٠٠٦م] فإنه يبلغ قمة الحكمة عندما يدعو الكنيسة إلى العودة إلى رسالتها الطبيعية والتاريخية.. وأن تقلع عن الانحراف الذى أصابها، وتخرج من النفق المظلم الذى دخلت فيه.. فيكتب يقول:

«إن الخطيئة هى مدخل المسيحية إلى الإنسان.. وإن المسيح لم يهتم أبدًا كيف يرتب حياة الخاطئ لما يتوب، أو يشرّع قوانين مدنية.. المسيح لم يعد الخطاة التائبين بشىء من ملك هذا العالم، بل ثبّت قلب التائب نحو مُلك السماء.. ملكوت الله ليس ملكوتًا زمنياً، فلا تترقب مجيئه عبر الزمان.

لم يجمع السيد قط ولم يخلط أبدًا بين مملكة الله ومملكة هذا الدهر. نقرأ عنه أنه «لما أرادوا أن يختطفوه ويجعلوه ملكًا انصرف وحده» - يوحنا ٦ : ١٥.

التوبة شغل الكنيسة الشاغل لأنها رسالتها.. فإذا رفعنا المناداة بالتوبة من الكنيسة لا يتبقى لها عمل آخر.. وخارجًا عن التوبة لا يوجد عمل ولا خدمة داخل الكنيسة وخارجها.

ومحاولة الكنيسة الاهتمام بالأمور الزمنية باسم المسيح هو بمثابة تنصيب المسيح ملكًا على الأرض.

ومحاولة تقوية سلطان الكنيسة الزمنى، والمطالبة بحقوق للجماعة هو رجعة لإقامة ملك المسيّا كما يحلم به اليهود..

إن أخطر عدو يهدد كيان المسيحية بالانحلال هو أن يهتم الكارزون فى الكنيسة بموضوع آخر غير «خطيئة الإنسان»، فيتركوا عنهم دعوة المسيح للخطاة التى كانت مهمته الأولى، والعظمى، وينشغلون بالإنسان من جهة حياته الاجتماعية، هذا ليس خروجًا عن المسيحية فحسب، ولكنه مقاومة..

إن المسيحية تتعرض فى هذه الأيام لنفس المحنة التى تعرضت لها على أيدى [الفريسيين] والكنيسة تواجه نفس الضربة، لأن بعض الكارزين يحاولون الآن الخروج بالمسيحية عن موضوعها بسبب انعدام قدرتهم على الكرازة بالتوبة لتجديد الإنسان وخلاصه، وإن الخسارة التى ستجنيها الكنيسة من جراء ضم مواضيع جديدة للكرازة سوف تنتهى أخيراً بانطفاء سراج المناداة بالتوبة لخلاص الخطاة الذى ظل ينير الكنيسة ويضم لها كل يوم الذين يخلصون. الأمر الذى كان يخشاه بولس الرسول، والذى من أجله حارب وحوشا فى أفسس،وجاهد وغلب، ثم تركه وديعة لتلميذه تيموثاوس ليحارب حروب الرب من أجله أيضًا، ويسلمه تراثا للكنيسة..

ولكن الكارزيـن فى هذه الأيام فـقـدوا الطريق الموصـل لقلب الإنسـان، فأخذوا يدورون حوله إلى ما لا نهاية..

والمفـتاح المـقدس الذى سلّمـه الرب للكنـيسـة إلى قلب الخطاة ضـاع، والمفتاح كان المناداة بالتوبة..

لقد يئس الخاطئ ، وتبلدت نفسه، وكرهت روحه الحق.

إن المفـتـاح الكبـيـر الذى سلمـه الرب للـكنيـسـة لتـفـتح به ملكوت السماوات للخطاة أينما شـاءت وكيفما شاءت، فقدته. لقـد ضاع المفتاح الكبـير لما انشـغلت الكنيـسة بأمـوال الدنيـا وأملاك العـالم، وتلاهت عن خلاص الخطاة.

نعم، لا يستطيع الإنسان أن يعبد ربين، ولا أن يخدم سيدين..

إن أى محاولة للجـمع بين ملكوت الله، كهدف اختصاص المسـيحية، مع أهداف أخـرى، مثل المطالبـة بحقـوق خاصـة للكنيسـة للاشتـراك فى الحكم أو فى إدارة سيـاسة الدولة أو المطالبة بحـقوق خاصـة لتملك شىء من أمـجـاد هذه الدنيـا، أو السـعى ليكـون للكنيـسـة شىء من النفـوذ أو السيادة، هذه المحاولة معناها الخروج عن هدف الاخـتصاص فى المسيحية، الذى هو ملكوت الله.

كذلك كل مـحاولة لاستخـدام السلطان، سـواء كـان السلطان الدينى أو السلطان الزمنى، أو استـخدام التهديد والوعيـد، أو اسـتـخـدام العــقوبة

أو المقاطعة لإجبار الخاطئ على التوبة، يعتبر هذا كله عمل اغتصاب وسلبا لمشيئات الناس واستعبادهم باسم الدين والكنيسة..

وسيان، من حيث الخطورة والدوافع المنحرفة، أن تطلب الكنيسة القوة من السلطان الزمنى، أو تحض على الاستهتار بقوة السلطان الزمنى، لأن فى الأول خروجًا عن اختصاص الكنيسة، وفقدانا لمصدر قوتها الروحية -كما أثبتنا- وفى الثانية خروجًا على المنطق المسيحى ووصية الإنجيل، ووقوعًا فى دينونة الله، لأن الكتاب يقول «المقاومون (للسلطان) يأخذون لأنفسهم دينونة» -رومية ١٣-٢-..

وعلى الكنيسة أن تدع المواطن المسيحى يتحرك بحرية فى كل الاتجاهات كما يشاء وكما تمليه عليه تربيته ونشأته وثقافته، ويتحمل هو تبعة تحركه وتظل الكنيسة فوق كل هذه التحركات جميعًا تعمل فى اختصاصها لخلاص نفسه وإهداء أقدامه فى طريق ملكوت الله.

ويشهد التاريخ ويروى أنه كلما خرجت الكنيسة عن اختصاصات مسيحها، وبدأت تنزع إلى السلطان الزمنى، وتجيِّش الجيوش باسم الصليب، وزاغت وراء أموال الأغنياء، وارتمت فى أحضان أصحاب النفوذ، وحاولت محاولات جدية وعنيفة للجمع بين السلطان الدينى والسلطان الزمنى، ودأبت على المطالبة بحقوق عنصرية وطائفية فشلت المسيحية فى تأدية رسالتها، ودب فيها الخصام والنزاع والوهن، وفقدت شكل مسيحها كمنادية بالتوبة، وضاع منها الخروف الضال.

ولما انشغلت بأمجاد الدنيا قُفل فى وجهها باب الملكوت، وصارت فى حاجة إلى من ينتشلها من ورطتها ويردها إلى حدود اختصاصاتها الأولى..»[1].

***

هذا هو موقف العقلاء الحكماء -من المسيحيين المصريين- من رجال الكهنوت ومن العلمانيين-:

لكن السؤال -المطروح اليوم- وأمام تصاعد النزعة الطائفية العنصرية الانعزالية التى تقودها الكنيسة -أين موقف هؤلاء العقلاء الحكماء؟!.. ولماذا الصمت على هذا المشروع الطائفى، الذى «يجهز المسيحيين للإبادة» - كما قال الأنبا موسى؟!

نحن نعلم درجة القمع التى يمارسها الكاهن الأكبر إزاء المعارضين لسلطته المستبدة.. ونعلم تأثير سلاح «الحرمان الدينى» الذى استخدمه ويستخدمه بإسراف غير مسبوق ضد من تحدثه نفسه بالخروج على هذه النزعة الطائفية التى دفع الأقباط فى مستنقعها..

لكن.. ومع أخذ كل ذلك فى الاعتبار.. فإن القضية قضية وطن وأمة وحضارة ومصير- ولا بد من موقف واضح وشجاع ومعلن لإنقاذ الأقباط وكنيستهم من هذا المنزلق الخطير الذى يوشكون على التردى فيه!..

---

(١) الأب متى المسكين [مقالات بين السياسة والدين] ص٧-١٣، ١٨، ٢٧، ٢٨- الطبعة الأولى سنة ١٩٧٧م. والطبعة الثانية سنة ١٩٨٠م -دار مجلة مرقس -مطبعة دير القديس أنبا مقار.

وإذا كنا قد أشـرنا إلى مقتطفـات من كتابات العقـلاء والحكماء.. الـذين دعوا إلى وقـوف الكـنيسة عنـد رسـالتها الـدينـية والـروحـية -التاريخـية- التى عـينها لها المسيح عليه السـلام.. أى الوقوف عند خـلاص الروح وتوبة الخطـاة.. فـلا بد من الإشـارة إلى رأس هؤلاء العقـلاء والحكماء، وأنجب من أفـرزه اللاهوت الأرثوذكسى المعـاصر: الأب متى المسكين [١٩١٩-٢٠٠٦م] الذى مـثل القيادة الحكيمـة للتيار اللاهوتى الداعى إلى وقـوف الكنيسـة عند ما الله. وترك مـا لقيـصر والدولة والمجـتمع والسلطان.. والـذى كتب فى هذا الموضـوع الكتب والدراسات والمقالات النفيسة.. والذى تـعرض -هو وأتباعه- للحصار والاضطهاد- بل والتكفير والحرمان الدينى !- من تيار الطائفية العنصرية الذى اختطف الكنيسة الأرثوذكسية منذ سبعينيات القرن العشرين..

هكذا تحدث رأس العقلاء وحكيم الحكماء- الأب متى المسكين- عن رسالة الكنيسة -كما حددها لها المسيح عليه السلام-.

كـما تحـدث عن الانقلاب علـى هذه الرسالة، والمطالبـة «**بحـقوق عنصرية وطائفية**»، على النحو الذى أفقـد الكنيسة طبيعتـها، وخرج بها عن اختصاصاتها الأولى..

وحذر من عاقبة هذا الانقلاب: «**فشل المسيحية فى تأدية رسالتها**»..

نعم.. هكذا تحـدث الأب متى المسكين عن الكنيـسة ورسالتـها..

وعن محاولات الانقلاب على هذه الرسالة.. وظل رافعًا لريات النصح والإرشاد، دونما رهبة من الحيف الذى أصابه جزاء كلمة الحق التى أعلنها ودافع عنها هو وتياره اللاهوتى- فى دير القديس أنبا مقار -ببرية شيهيت-.

فكان -ولا يزال- النموذج للقائد الروحى.. والابن البار للكنيسة الوطنية المصرية.. الذى لم يستبدل بمسحيتها المسيحية الأمريكية لمجلس الكنائس العالمى- كما صنع الآخرون- الذين سقطوا فى مستنقع الطائفية العنصرية!..

لقد أدان «انشغال الكنيسة بأمجاد الدنيا.. ولهاثها وراء أموال الأغنياء - فضلا عن تمويل الأعداء!!-.. ومحاولات «الجمع بين السلطان الدينى والسلطان الزمنى».. والعمل على «الاستهتار بقوة السلطان الزمنى».. وأساليب «التهديد والوعيد».. والسعى «للمطالبة بحقوق خاصة للكنيسة للاشتراك فى الحكم أو فى إدارة سياسة الدولة.. أو تملك شىء من أمجاد هذه الدنيا..»..

ولقد وضع هذا الحبر العظيم -الأب متى المسكين- بهذه الكلمات التى استشهدنا بها -الدستور الذى ساد توجهات الكنيسة الشرقية تاريخياً.. والذى انقلب عليه التيار الطائفى العنصرى، الذى اختطف قيادة الكنيسة الأرثوذكسية منذ ١٤ نوفمبر سنة ١٩٧١م.

●●●

وبعد، فلقد اتخذتُ -في المشروع الفكرى الذى توفرت عليه- هذا الموقف المتوازن والحاسم من هذه القضية الخطيرة.. والحساسة.. والشائكة.. التى توضع مخططاتها الاستعمارية الآن فى واقع الممارسة والتطبيق، على امتداد وطن العروبة وعالم الإسلام..

● فالأحزاب العلمانية الكردية، التى تحكم فى شمالى العراق.. والتى تشكو من تجزئة القومية الكردية بين أربع دول عربية وإسلامية -**العراق**.. **وسوريا**.. **وتركيا**..**وإيران**- تتجاهل أن القومية العربية قد جزئت بين أكثر من عشرين دولة.. وتنكص- هذه الأحزاب- عن «الحل الإسلامى»، الذى يجمع كل القوميات الإسلامية فى إطار جامعة الإسلام، متيحًا لكل هذه القوميات إحياء خصوصياتها القومية فى إطار جامعة الحضارة الإسلامية وتكامل دار الإسلام -كما كان الحال فى التاريخ الإسلامى، قبل«فتنة التفتيت والتعصب القومى»-..

لقد نكصت هذه الأحزاب العلمانية الكردية- التى أقامت العلاقات مع الكيان الصهيونى منذ ستينيات القرن العشرين، على يد الملا مصطفى البرزانى [١٩٠٣-١٩٧٩م].. لقد نكصت على أعقابها، عندما حكمت تحت حماية الإمبريالية الأمريكية، وبدعم الصهيونية العالمية، حتى عن لغة القرآن الكريم -التى سبق وخدمها الأكراد عبر تاريخهم الإسلامى المشرق- فتخرجت وتتخرج من مدارسهم وجامعتهم عشرات الألوف الذين لم يدرسوا حرفًا واحدًا من لغة القرآن الكريم!!..

كـما تحـالفت -هذه الأحـزاب الكردية العلمانيـة- مع الإمـبرياليـة الأمريكية والصهيونية فى مخطط العنصرية والتفتيت..

- وعلى جبهـة التشيع الصفوى -الفـارسى.. هناك الذين جاءوا إلى العـراق على ظهـور الدبابات الأمريكيـة الغـازية سنة ٢٠٠٣م.. ليفتتوا العراق -باسم الفيدرالية- وليـبيعوا ثرواته النفطية واستقلاله الوطنى وحرمات ترابه العـربى للإمبريالية الأمريكية لقاء الاسـتئثار بحكم العراق تحت حماية الأمريكان!.. إنهم يحكمون العراق من المنطقة الخضراء -ببغداد- أى من السفارة الأمريكية!.. ولقد تحول العراق -تحت حكمهم- إلى سلسلة من القواعـد الأمريكية، تحمل إحـداها اسم «الإمـام على»!!.. فـأهانوا آل البـيت مع الوطنيـة والعروبة والإسلام!.

- وعلى الجبهـة المغاربية.. تعمل الأكاديميـة الأمازيغية -التى أقامـتها فرنسا الاستعمارية بباريس -على إحياء اللغة الأمازيغية.. وصناعة أبجدية لـها.. واختـيار إحـدى لهجاتهـا، لتكون بديلا للعـربية، يفضى إلى سيادة الفرنسية بين الأمازيغ!! ناكصين بذلك عن الحقيقة التاريخية والحضارية التى تقول: إن الأمازيغ هم الذين نشروا العربية والإسـلام فى المـغـرب الكبـيـر.. وأن العلمـاء ذوى الأصـول الأمازيغية- ومنهم الإمام عـبد الحميد بن باديس [١٣٠٧-١٣٥٩هـ ١٨٨٩-١٩٤٠م]- هم الذين أعـادوا الجزائر إلى أحـضان العـروبة

والإسلام.. وهم الذين قادوا عـملية التعريب فى مواجهـة الفرنسة فى بلاد المغرب العربى الكبير..

- وعلى الجبهـة المارونية السياسيـة.. كلفت هذه المخططات لبنان حربًا أهلية دامية ومدمرة دامت خمـسة عشر عامًا [١٩٧٥- ١٩٩٠م] قبل أن تنتهى إلى وفاق هش بين الفرقاء الذين غلَّبوا الطائفية على الانتماء القومى والحضارى الذى يسع الجميع.
- أما عـلى الجبـهة المصـرية.. حيث تركـز الإمبـريالية والصلـيبـية والصهيونية على تفتيت كنانة الله فى أرضه.. فإن المعركة قائمة على قدم وسـاق..وخاصة منذ انحيـاز قيادة الكنيـسة الأرثوذكسيـة لهذا المخطط الطائـفى العنصـرى الانعـزالى، الذى يطـمع إلى تغـيـيـر الخرائط.. والثوابت.. وهويات الحضارة والتاريخ!..

الأمر الذى يجعلنا نستنهض مواقف العقل والحكمة فى أوساط هذه الأقليات لمواجهة الخطر المحدق بالجميع!.

●●●